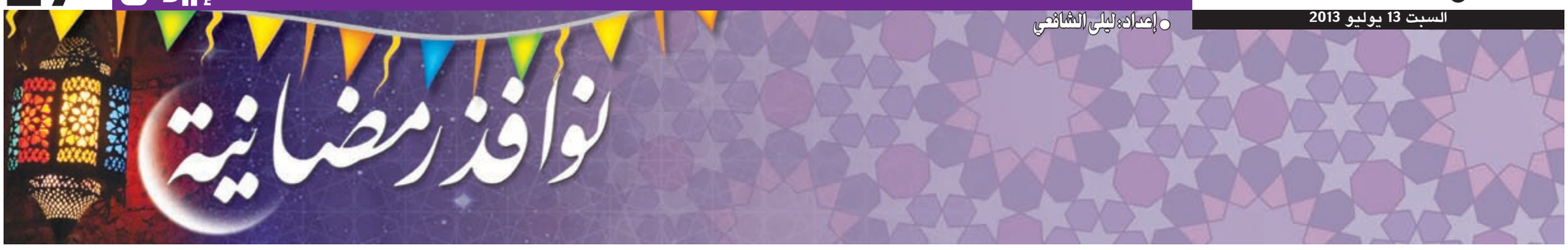

● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

توبة ماعز بن مالك من الزنى

وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهرني، فقال: «ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب اليه»، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني، فقال النبي ﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله: «فبم أطهرك؟» فقال: من الزنى فسأل رسول الله ﷺ: «أبه جنون؟» فأخبر انه ليس بمجنون، فقال: «أشرب خمرا؟» فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أزنيت؟» فقال: نعم. فأمر به فرجم، فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز انه جاء الى النبي ﷺ فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة، قال: فلبثوا بذلك يومين او ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلّم ثم جلس، فقال: «استغفروا لماعز بن مالك» قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم».

قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد، فقالت: يا رسول الله طهرني، فقال: «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي اليه» فقالت: أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك، قال: «وما ذاك؟» قالت انها حبلى من الزنى، فقال: «أنت؟» قالت: نعم، فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك» قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية، فقال: «إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه» فقام رجل من الأنصار فقال: إليّ رضاعه يا نبي الله، قال: «فرجمها» وللحديث رواية أخرى عند مسلم أيضا فيها: ان ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، اني ظلمت نفسي وزنيت، واني أريد أن تطهرني، فرده، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله، اني قد زنيت، فرده الثانية، فأرسل رسول الله ﷺ الى قومه فقال: «أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا؟» فقالوا: ما نعلمه الا وفيّ العقل، من صالحينا ـ فيما نرى ـ فأتاه الثالثة فأرسل اليهم أيضا، فسأل عنه فأخبروه: انه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم.

قال: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله، إني قد زنيت فطهرني، وانه ردها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لم تردني؟ لعلك ان تردني كما رددت ماعزا، فوالله اني لحبلى، قال: «إمّا لا فاذهبي حتى تلدي» فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته، قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته اتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا، يا نبي الله، قد فطمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي الى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها الى صدرها، وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد، فسبها فسمع نبي الله ﷺ سبّه اياها فقال: «مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له». ثم أمرى بها فصلّى عليها ودُفنت.

من التراث

دموع الحَجاج

كتب عبدالملك بن مروان إلى الحجاج يأمره بأن يبعث إليه برأس عباد بن أسلم البكري، فقال له عباد: أيها الأمير أنشدك الله لا تقتلني، فوالله إني لأعول اربعا وعشرين امرأة، ما لهن كاسب غيري، فرق له واستحضرهن وأخذ واحدة منهن كالبدر، فقال الحجاج: ما أنت منه؟

قالت: انا بنته، فاسمع مني يا حجاج ما اقول، ثم قالت:

أحجاج إما أن تمن بتركه
علينا وإما أن تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به إن قتلته
ثمانا وعشرا واثنتين وأربعا
أحجاج لا تترك عليه بناته
وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له، واستوهبه من أمير المؤمنين وأمر له بصلة.

الحجاج والأعرابي

قال الأصمعي: خرج الحجاج متصيدا، فوقف على أعرابي يرعى إبلا وقد انقطع عن اصحابه، فقال: يا أعرابي، كيف سيرة أميركم الحجاج؟ فقال الأعرابي: غشوم ظلوم لا حياه الله ولا بياه، فبينا هو كذلك إذ أحاطت به جنوده، فأومأ إلى الأعرابي فأُخذ وحُمل، فلما صار معهم قال: من هذا؟ قالوا: الأمير الحجاج، فعلم انه قد احيط به، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه، فناداه: أيها الأمير، قال: ما تشاء يا أعرابي؟ قال: أحب أن يكون السر الذي بيني وبينك مكتوما، فضحك الحجاج وخلى سبيله.

الرجال مواقف

زيد بن أرقم صدقه يكشف المنافقين

قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون. يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) سورة (المنافقون).

نزلت هذه الآية في زيد بن أرقم رضي الله عنه، حيث ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية نزلت تصديقا لهذا المسلم الذي ينتمي للأنصار الذين استقبلوا المهاجرين أفضل استقبال، وقدموا لهم المال والأنفس، وقد نشأ ابن أرقم في كنف الصحابي الجليل عبدالله بن رواحة الذي كان يمسك بزمام ناقة الرسول ﷺ في عمرة القضاء.

وقد نزلت هذه الآية في حادثة تحولت إلى تجسيد حي لخطر وسموم المنافقين ويروي زيد بن أرقم الواقعة بقوله: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبي. لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، وقال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل».

قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك، فأرسل إلي عبدالله بن أبي فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل.

فقالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ.

قال: فوقع في نفسي مما قالوا بشدة، حتى أنزل الله تصديقي الآية من سورة المنافقون، ثم دعاهم النبي ليستغفر لهم. وفي رواية أخرى، أن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبدالله بن أبي يقول «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فذكرت ذلك لعمي ـ أو لعمر ـ فيذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل إلى عبدالله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ، وكذبني فأصابني غم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي.

وقال عمر: ما أردت إلى أن كذبك النبي ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله عز وجل الآية (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينقضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون. يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) فقرأها الرسول علي ثم قال: يا زيد إن الله قد صدقك.

رواية ثالثة

وفي رواية ثالثة، قال زيد: غزونا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا أناس من الأعراب، فكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقوننا إليه، فسبق أعرابي أصحابه، فيسبق الأعرابي فيملأ الحوض، فيجعل حوله حجارة، ويجعل النطع عليه، حتى يجيء أصحابه قال: فأتى رجل من الأنصار أعرابيا، فأرخى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه فانتزع قباض الماء فرفع الأعرابي خشبة، فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى عبدالله بن أبي رأس المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه فغضب عبدالله بن أبي ثم قال: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله» ـ يعني الأعراب ـ وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام.

وقال عبدالله: «إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن عنده»، ثم قال لأصحابه «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل».

قال زيد بن أرقم: وأنا أردف عمر فسمعت عبد الله فأخبرت عمر، فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه الرسول فحلف وحجر، قال: فصدقه النبي وكذبني، فجاء عمي إلي فقال: ما أردت إلى مقتك رسول الله ﷺ وكذبك المسلمون.

فوقع على زيد بن أرقم من الهم ما لم يقع على أحد.. وقال: بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر، قد خفقت برأسي من الهم، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا.

ثم أن أبا بكر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟

قلت: ما قال شيئا إلا أنه عرك أذني، وضحك في وجهي.

قال: أبشر.

ثم لحقني عمر، فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقون.

في مؤتة وصفين

وكان زيد بن أرقم من أكثر المجاهدين إقداما على المعارك والغزوات التي فتح بها المسلمون الأرض أمام كلمة الحق، وأصبح الجهاد هوايته وحرفته لا يستطيع التخلف عن أي غزوة مهما تكن الأسباب، وحتى غزوة مؤتة التي دارت على مشارف الروم، كان زيد بن أرقم أحد أبطالها.

ويروي هو عن نفسه: كنت رفيقا لعبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة، فوالله إنا لنسير ليلة إذ سمعته يتمثل بأبيات يتمنى فيها الشهادة.

فلما سمعت هذه الآبيات بكيت، فخفقني بالدرة وقال: ما عليك أن يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شعبتي الرحل، وحقق الله له ما تمناه ونال الشهادة.

وعاد زيد بن أرقم دون صاحبه مع الجيش العائد إلى المدينة، وظهر بعد ذلك في موقعة صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن سفيان في جيش علي، وبعد المعركة اعتزل كل ذلك ونزل الكوفة وابتنى بها دارا في «كندة»، وعاش بها يعبد ربه ويستقبل أصحابه ويهدي إلى الخير، حتى أتاه أجله عام 68 هجرية.

روائع القصص

هدهد سليمان عليه السلام

من أغرب حكايات القرآن الكريم قصة الهدهد، فإن الله تبارك وتعالى أعطى داوود وسليمان ملكا عظيما. يقول الله تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده الصالحين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وحشر سليمان وجنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد وقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله).

دلالة القصة

ان سيدنا سليمان لما ملك كل شيء بعد ان طلب من ربه هذا كما يقول القرآن (ربي هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) شعر سليمان وقتها بذاته وأصبح للكرسي، كرسي الملك له قداسة وعظمة شديدتان فأراد الله ان يعرفه انه انسان فقير الى رحمة ربه، رغم انه يملك الإنس والجن والطير وكل شيء خاصة انه توعد الهدهد بالعذاب لغيابه، ولكن الهدهد قال للملك سليمان أنا أعرف أكثر منك أنا أحطت بما لم تحط به، أنا أكثر منك علما وذكاء وقدم له الدليل على ذلك، أنه تجول في المنطقة ورأى زعيمة سبأ وهي الملكة بلقيس تسيطر على أمة متحضرة قوية ولكنهم يعبدون الملكة والشمس، وقد غاب الهدهد عن مجلس سليمان لهذا السبب ، لهذا الأمر وان سيدنا سليمان لو صبر لكان خيرا له، وان بعض المخلوقات الصغيرة قد تكون أعلم وأرفع مكانا لدى رب العالمين. ونتيجة لهذا فإن ملكة سبأ دخلت دين الله مع سليمان وتركت الوثنية (عبادة الشمس) ثم تقرر القصة شيئا آخر، وهو ان سيدنا سليمان طلب من احد حاضري مجلسه احضار عرش بلقيس قبل ان تدخل بلقيس القصر فقال احد الجالسين بمجلسه أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك، يقصد سيدنا سليمان، فرد عليه سليمان قائلا: أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اي قبل ان ترمش عيناه. يقول أهل العلم ان سيدنا سليمان استخدم الاسم الأعظم لله ففي لمحة عين جاء عرش بلقيس بالكاف والنون (إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وهذا يعني ان الله يفيض برحمته على من يشاء من عباده المخلصين.

ذنوب كبيرة

منع الزكاة

قال تعالى: (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ .) فسماهم المشركين، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ).

وثبت عن رسول الله ﷺ انه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنباه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار، قيل يا رسول الله: فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار، قيل يا رسول الله: فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار».

وقال ﷺ: «أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلّط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله وفقير فخور».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج او تجب فيه زكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت، فقال له رجل: اتق الله يا ابن عباس، فإنما يسأل الرجعة الكفار

رسائل الرسول

كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى (2ـ2)

خرج كل من خرخسرة وبابويه ومعها كتاب من باذن الى رسول الله ﷺ بأمره أن ينصرف معهما الى كسرى، فلما قدما الطائف وجدا رجلا من قريش في أرض الطائف، فسألوه عنه فقال: هو بالمدينة واستبشر أهل الطائف وقريش بهما وفرحوا، وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك، كُفيتم الرجل.

فخرجا حتى قدما على رسول ﷺ ودخلا عليه وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره ﷺ النظر اليهما وقال ﷺ: «ويلكما من أمركما بهذا؟!».

قالا: أمرنا ربنا ـ يعنيان كسرى ـ

فقال ﷺ: «ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي».

فكلمه بابويه فقال: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذان، يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك، وقد بعثني اليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتب لك الى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك، وان أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك، ومخرب بلادك.

قال رسول الله ﷺ: «ارجعا حتى تأتيان غدا».

وأتى رسول ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله.

فدعا رسول الله ﷺ لرسولي باذان وقال لهما: «إن ربي قد قتل الليلة ربك».

«أخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة».

فقال: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذان؟

قال رسول الله ﷺ: «نعم أخبراه ذلك عني، وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى وينتهي الى الخف والحافر، وقولا له: ان أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء»، ثم أعطى خرخسرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها اليه بعض الملوك، وخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول، وليكونن ما قد قال، فلئن كان هذا حقا فهو نبي مرسل وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد، فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبا لفارس كما كان استحل من قتل أشرافهم وغيرهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق الى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تَهِجهُ حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذان قال: ان هذا الرجل لرسول فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن، وقال بابويه لباذان: ما كلمت أحدا أهيب عندي منه.

فقال له باذان: هل مع شُرط؟

قال: لا.

ونصر الله عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده وأخزى الله عز وجل كسرى في الدنيا بأن كان قتله على يد ولده ودمر الله عز وجل ملكه وخرب عرشه ولم تقم لهم قائمة بعد أن تطاولوا على رسول الله ﷺ وهم في خزي دائم والايام والسنون شواهد ومهما بلغت قوة الفرس فإن الله عز وجل مخزيهم ومخرب عليهم ديارهم والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

● بقلم الشيخ سيد الرفاعي